عنوان الخطبة: الإيمان بالقضاء والقدر

اسم الخطيب :عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر

المصدر: https://khutabaa.com/ar/article/%D86%9D%7A%8D%85%9A%D8%9D%5A%8D%84%9D%7A%8-5-1B%8AF%D%8D%82%9D%84%9D%7A%8D%8A%8%D

مقدمة الخطبة الأولى

الحمد لله العليم القدير، الحكيم الخبير، وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له، ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير، وأشهد أنّ محمّدًا عبده ورسوله البشيرُ النذير، والسراج المنير؛ صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه وعلى كل من على نهجه يسير.

نص الخطبة الأولى

أمّا بعد: فيا أيها المؤمنون: اتّقوا الله –تعالى– وراقبوه سبحانه في الغيب والشهادة والسر والعلانية مراقبةَ من يعلمُ أن ربَّه يسمعُه ويراه.

أيها المؤمنون: إنَّ من أصول الإيمان العظيمة، وأسس المعتقد المتينة: الإيمانَ بالقضاء والقدر، وأنَّ ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن ما أصابك –أيها العبد– لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن هذا الخلق كلَّه طوعُ تدبير خالقه وتصريف موجِده جل في علاه، وآية القدرة على الخلق إيجاد هذه المخلوقات علويّها وسفليّها: (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا) .

أيها المؤمنون: ولقد تكاثرت الدلائل في كتاب الله وسنة نبيه ومصطفاه –صلى الله عليه وسلم– على تقرير هذا الأصل وإثباته في مواطن كثيرة؛ قال الله –عز وجل: (إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ)، وقال تعالى: (فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ) ، وقال تعالى: (ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى)، وقال تعالى: (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)، وقال تعالى: (سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى * الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى * وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى)، وقال تعالى: (وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا)، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

أيها المؤمنون: إنَّ الإيمان بالقدر نظامُ التوحيد؛ فلا يستقيم توحيد امرئٍ ولا يصح إيمانه إلا بالإيمان بالقدر، قال ابن عباس –رضي الله عنهما–: "الإيمان بالقدَر نظام التّوحيد؛ فمن وحَّد الله وكذَّب بالقدر نقض تكذيبُه توحيدَه".

وإذا كان الإيمان بالقدر نظام التوحيد فإنَّ التوحيد نظام الحياة، فلا تستقيم حياة المرء إلا بالإيمان وتوحيد الرحمن وإخلاص الدين له جل في علاه، وإذا لم يكن المرء موحدا لا تنتظم حياته بل تذهب فُرُطا، وتضيع سبهللا، لا نفع فيها ولا فائدة، لا في دنياه ولا في أخراه.

عن الوليد ابن الصحابي الجليل عبادة بن الصامت –رضي الله عنه– قال: "دَخَلْتُ عَلَى والدي، وَهُوَ مَرِيضٌ أَتَخَايَلُ فِيهِ الْمَوْتَ فَقُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ أَوْصِنِي وَاجْتَهِدْ لِي، فَقَالَ: أَجْلِسُونِي؛ فَلَمَّا أَجْلَسُوهُ قَالَ: يَا بُنَيَّ إِنَّكَ لَنْ تَطْعَمَ طَعْمَ الْإِيمَانِ، وَلَنْ تَبْلُغْ حَقَّ حَقِيقَةِ الْعِلْمِ بِاللهِ حَتَّى تُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ. قَالَ: قُلْتُ: يَا أَبَتَاهُ وَكَيْفَ لِي أَنْ أَعْلَمَ مَا خَيْرُ الْقَدَرِ مِنْ شَرِّهِ؟ قَالَ: تَعْلَمُ أَنَّ مَا أَخْطَأَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَكَ، وَمَا أَصَابَكَ لَمْ يَكُنْ لِيُخْطِئَكَ، يَا بُنَيَّ إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ –صلى الله عليه

وسلم- يَقُولُ: "إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ، ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ" يَا بُنَيَّ إِنْ مِتَّ وَلَسْتَ عَلَى ذَلِكَ دَخَلْتَ النَّارَ". [رواه الإمام أحمد (22705) والترمذي) 2155(وصححه الشيخ الألباني].

وعن عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ، حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ" [رواه مسلم 2655] ، وعن عبد الله بن عمرو بن العاص -رضي الله عنها- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: "كَتَبَ اللَّهُ مَقَادِيرَ الْخَلاَئِقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ" [مسلم (2653)] ،وعن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه- قال حدثنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو الصادق المصدوق قال: "إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نطفة، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ فِي ذَلِكَ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يُرْسَلُ الْمَلَكُ فَيَنْفُخُ فِيهِ الرُّوحَ وَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَات: بِكَتْبِ رِزْقِهِ وَأَجَلِهِ وَعَمَلِهِ وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، فَوَ الَّذِي لاَ إِلَهَ غَيْرُهُ إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ حَتَّى مَا يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلاَّ ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الْكِتَابُ فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَيَدْخُلُهَا "[متفق عليه].

ولهذا كان يشتدُّ خوف السلف -رحمهم الله- من السوابق والخواتيم؛ السوابق: أي لا يعلمون ما سبق لهم في علم الله وما كُتب عليهم في اللوح المحفوظ. والخواتيم: أي بمَ يُختم لهم في نهاية الحياة. وأمْرُ ذلك كله بيد الله -عز وجل-، الأمْر أمْره والخلْق خلْقه ولا يكون شيء إلا بقضائه وقدره.

عباد الله إن الإيمان بالقدر يطرد عن العبد الأوهام والمخاوف والقلق في مواطن تشتد بها الخطوب على العباد، فيكون المؤمن بالقدر مطمئنًا بإيمانه، عالما أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه.

والمؤمن بقدر الله -جل وعلا- إذا حلَّ به المصاب ونزلت به البلوى علِم أن ما أصابه بإذن الله فيرضى ويسلِّم بقضاء الله، ويرجو الله -جل في علاه- على ما أعدَّه من موعودٍ كريم وثوابٍ عظيم للصابرين: (وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ * الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ).

نسأل الله -جل في علاه- أن ييسرنا أجمعين لليسرى، وأن يجنِّبنا العسرى، وأن يهدينا إليه صراطًا مستقيما، وأن يجعل كل قضاء قضاه لنا خيرا، وأن يحسن لنا العواقب والخواتيم إنه تبارك وتعالى سميع الدعاء، وهو أهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل.

مقدمة الخطبة الثانية

الحمد لله كثيرا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهدُ أن محمداً عبدُه ورسوله؛ صلى الله وسلَّم عليه وعلى آله وصحبه أجمعين.

نص الخطبة الثانية

أمّا بعد: فيا أيها المؤمنون: اتقوا الله -تعالى.-

اعلموا -رعاكم الله- أن الإيمان بأقدار الله -عز وجل- طمأنينةٌ للمؤمن وفلاحٌ له وسعادةٌ في دنياه وأخراه.

وأن المؤمن بقضاء الله وقدره هو في حياته كلِها متوكلٌ على الله مستعينٌ بالله ملتجئٌ إلى الله –جل في علاه–، وأن فعل الأسباب من الإيمان بقضاء الله وقدره،

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍّ خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجزن، وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان" رواه مسلم

قال ابن أبي العز رحمه الله: (وقد ظن بعض الناس أن التوكل ينافي الاكتساب وتعاطي الأسباب، وأن الأمور كانت مقدرة فلا حاجة إلى الأسباب، وهذا فاسد, فإن الاكتساب: منه فرض, ومنه مستحب, ومنه مباح, ومنه مكروه, ومنه حرام... وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم أفضل المتوكلين، يلبس لامة الحرب, ويمشي في الأسواق للاكتساب).

وَمِمَّا ينبغي التَّأْكِيدُ عَلَيْهِ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَتَجَنَّبَ نَشْرَ مَا يُسَبِّبُ الْخَوْفَ وَالْهَلَعَ لِلناس؛ مِنْ خِلَالَ نَشْرِ الشَّائِعَاتِ: وَأَنْ يَحْذَرَ أَيْضَاً مِن نَشْرِ الشَّائِعَاتِ الَّتِي تُطْلَقُ وَتُرَوَّجُ لِلتَّهْوِينِ مِنْ خُطُورَتِهِ ،

فَعَلَى الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَعَامَل مَعْ الأمراض والطواعين بِتَوَسُّطٍ لَا يُهَوِلُهُ وَلَا يَسْتَخْفِفْ فِيهِ؛ وَأَنْ يَلْتَزِمَ بِتَوْجِيهَاتِ الْجِهَاتِ الْمَسْؤُولَةِ وأن لا يعرض نفسه ولا غيره للخطر.

نسأل الله –عز وجل– بأسمائه الحسنى، وصفاته العليا، أن يجعل كل قضاء قضاه لنا خيرا.